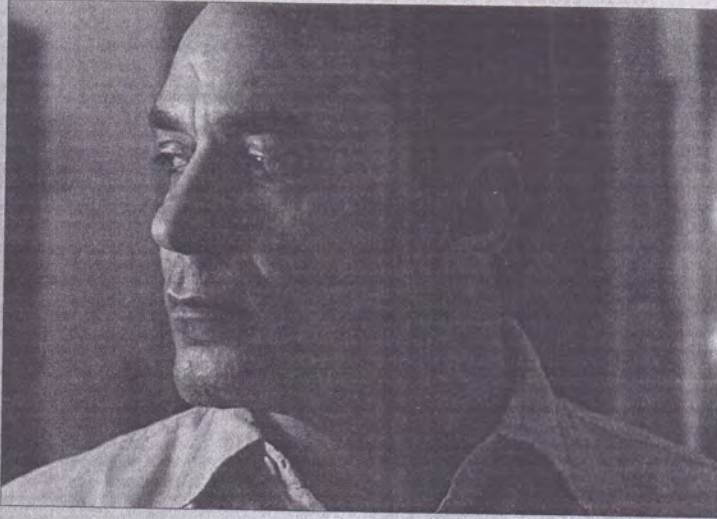


## «الجيل» فيلم غسان سلهب داخل الذات وخارجها



فادي أبي سمرا في لقطة من «الجيل» لغسان سلهب

على اختلاط التجربة الشخصية البحتة بالإشتغال السينمائي. على الذهاب بالذات إلى النص العام معاً. في «الجيل»، مفردات الانفصال والانقطاع والاختيار الذاتي والاختلاط الحاصل بينها كلها حاضرة بفعالية: كان الفنان / الشخصية الوحيدة في النص (فادي أبي سمرا) امتداداً للمخرج في تطويع الاختيار الذاتي وفتح منافذه على احتمالات شتى. أي على جعل المسار الدرامي معطوفاً على التناغم الشخصي بين الممثل والمخرج، وصولاً إلى تناغم ذاتي من نوع آخر: بين الفنان / الشخصية الوحيدة في الفيلم والمخرج نفسه، المثل في المشهد الأخير (من دون البوح بالطريقة والشكل اللذين أطلا بهما).

### امتداد

الشيخ (عوني قواص) العائد من موته في «أشباح بيروت»، منتقياً على المدينة والرقاق والناس تفكياً وتخريباً. بدا لي مقدمة للفنان الأشبه بشيخ، الذاهب إلى حقه في «الجيل». التوهان القائم داخل ذوات أناس (كارول عبود وريبع مروة وكارلوس شاهين وغيرهم) غير محصنين ضد الخيبة والوحدة والإنكفاء في «أرض مجهولة»، بدا لي شبيهاً بالفنان المقيم في خيبته ووحده وانكفائه داخل غرفة معزولة، في جبل معزول. خليل (كارلوس شاهين)، الطبيب المتحول إلى مصاص دماء في مدينة أشباح وليل وصمت مع كصحيح لا يرحم، مرآة شفافة للفنان المتأكل داخلياً، والمنقضى على نفسه تشریحاً وتفكياً وقتكاً. بهذا كله، يصبح السياق واحداً: المسار الذاتي مرتبط بمسار ميّز مكاني وقضاء زميني. مرتبط بتذلات القاهرة. مرتبط بسلك مخصب بعنف ساحق وغليان مؤذ.

استخدام الأسود والأبيض في تصوير «الجيل». ثنائي التوجه، غالباً: تمرين بصري جمالي على استخدام الكاميرا والأنوار المنسقة مع تحولات الذات والروح. إمعان في تآديب العين والعقل والانفعال على مواجبة الإيقاع الطبيعي المنسجم وغليان الداخل في ذات الفنان. المتناسق وقسوة العنقشة القائمة بين جدران الغرفة وجسد الفنان وعنقه للحظات، وانفتاح الخاتمة على تلوين أحمر، كذلك الحاصل في رائحة ستيفن سبيليرغ «لائحة شعبدل» معلاً. الإحساس، الذي جعله غسان سلهب «عنواناً» عربياً لعلاقة ما بالفيلم، أقد التعابير على جعل النص الروي بصرياً شكلاً من أشكال الانصياع إلى معنى التواصل مع الصورة وأبعادها. مع الصورة ومروياتها. مع الصورة وتشنجاتها الجمالية في صقع المشاهد، يدفعه إلى التماس ماهية النص وفرازاته الكشائية والدرامية. الإحساس أسلم طريق إلى المعرفة البصرية بمكونات «الجيل». بل بمكونات السبنا.

في مطلع الصفحة الأولى للموقع الإلكتروني الخاص بغسان سلهب، وضعت الجملة التالية: «قبل كل شيء، أو تقريباً كل شيء، عن المغامرة الإنسانية الغربية هذه. يقين أن نعيشها مجدداً». غالب الفن أن «الجيل» دعوة مفتوحة لاختيار معنى جعل الإحساس أسلوباً آخر لبعض مغامرة إنسانية غريبة مجدداً.

ن. ج.

يُعرض «الجيل»، بدءاً من بعد ظهر اليوم الخميس، في صالة سينما «متروبوليس»، في «أمير سوفيل» (الأشرفية).

«على صعيد القصة، هو فيلم سهل ومتقشّف، لا تركيب فيه. الفكرة كذلك خالية من أية فذلكة. لذلك، أميل إلى وصفه بالإحساس أكثر منه فكرة». حدّد غسان سلهب علاقته بفيلمه الروائي الطويل الرابع «الجيل». بهذا، رسم صورة عامّة أقرب إلى تعارف أول بين الفيلم ومشاهده. لكنه، بهذا، ترك مجالاً واسعاً لاجتهادات. لأقوال وانفعالات وتأمّلات. قال إن «الجيل» مختلف عن أفلامه السابقة. الاختلاف واضح في الكتابة والبناء. واضح في الجغرافيا والشخصية. واضح في الالتباس الأعمق للحظة الفاصل بين حياة وموت أيضاً. حدّد غسان سلهب علاقته بـ«الجيل»، هكذا. قال إن الذات لا تعني أساساً في إنتاج نصّ منتقلت من الذات في الوقت نفسه. هو لم يقل هذا مباشرة. الإسقاط شخصي. العلاقة الذاتية بفيلم ذاتي لخرج متوغّل في دواخل ذاته وأعمالها وارتباطاتها، انعكاس ميمّن لعلاقة أخرى ذاهية بصاحبها إلى ذاته. أو ساعية بصاحبها لذاته.

### تمرين

«الجيل» نتاج رغبة ذاتية في العزلة. في اختيار العزلة ومناجاتها. أفلامه الثلاثة السابقة مليئة بمناخات العزلة والتمزّق الداخلي. بالبحث عن هذا الحدّ القاتل والواهي بين حياة وموت. بالنتباس الحكاية والواقع. غير أن «الجيل» متفرد، قليلاً: في الشكل، اختيار الأسود والأبيض تمرين على اكتشاف جديد لعنى السينما الأصلية. اختيار شخصية واحدة / مثل واحد محوراً للحبكة والقضاء المفتوح على أسئلة لا تنتهي، تمرين على تحطيم الجدران المرتفعة وسط المدينة وداخل الإشتغال السينمائي. تمرين على جعل الكاميرا أقرب إلى عيون مفتوحة على قسوة الأسئلة المعقدة، والأشكال البصرية المتاحة. في الضموم، تقلّت أقصى من ضجيج المدينة، في مقابل تمسك أقوى بسكينة الطبيعة الشتمت بها بأنها مصدر ضجيج من نوع آخر. أو بأنها دافع إلى انفجار الضجيج الداخلي. الانتقال من المدينة إلى الجبل خطوة واختيار جديدين. تقليص الشخصيات إلى واحدة فقط تمرين على اجتهاد العقل والمخيّلة في إعادة صنع الحكاية والصوّور. تحرير النصّ السينمائي وترجمته البصرية من زحمة الناس واشتباك التناقضات الخارجية بالداخلية وسط أزقة المدينة وقضائها المفتوح على الخيبة والموت والقهر، مرادف لإلاء النصّ وترجمته بإفراقات الجبل المنقضة على الذات الفردية، تفكياً وتماهياً بها صوب الجبل.

ليست الأرض وحدها «مجهولة» (الفيلم الروائي الطويل الثاني لغسان سلهب حمل عنوان «أرض مجهولة»، ٢٠٠٩). الذات أيضاً. في أفلامه الروائية الطويلة الثلاثة السابقة، مسان واحد لاكتسار واحد. الشيخ العائد من موته في «أشباح بيروت» (١٩٩٨)، لا يختلف عن التائبين (كل تائه وحيد في توهانه) الآخرين وسط نيران الخراب والألم العتملة في ذوات المقيمين على الحافة الأخيرة للمقوضي، في «أرض مجهولة». التوهان بين الذات وانفعالاتها المحطمة والشوارع العتملة في ظلال مدينة ونفس وجسد، في «أطلال» (٢٠٠٦)، شكّل امتداداً طبيعياً لتوهان حاصل في زوايا العقل والروح داخل الفنان الذاهب إلى عزلته الجميلة لتقاء مفقود، أو لسكينة مضيضة، في «الجيل» (٢٠١٠). في أحد حواراته الصحافية الأخيرة، ركّز سلهب مراراً على مسألة الانفصال، أو الانتقاع.